تأثير الفكر الإستراتيجي الأمريكي في بداية الألفية الثالثة على العالم العربي

د.أحمد رميتة
قسم علم الإجتماع والديمغرافيا
جامعة الجزائر 2

مقدمة :

إن القوة الأمريكية والعولمة المتغلغلة هما الحقيقتان المركزيتان للعالم في بداية القرن الواحد والعشرين، وهما في نفس الوقت أصعب المعضلات التي يواجهها، وينطلق الفكر الإستراتيجي الأمريكي المعاصر بإتجهاته المختلفة من مسلمة أنه ومع إنهيارالإتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة، فإنه لا مثيل لقوة أمريكا من حيث مداها العسكري على الصعيد العالمي، ومحورية النشاط الإقتصادي الأمريكي بالنسبة لصحة الإقتصاد العالمي والتأثير الإبداعي للديناميكية التكنولوجية الأمريكية، ومن حيث الجاذبية العالمية للثقافة المحضة أمريكية المتعددة الأوجه، وقد وفرت كل هذه العناصر لأمريكا نفوذا سياسيا عالميا لا نظير له، وأصبحت أمريكا في كافة الأحوال ضابط الإيقاع العالمي[1]، فهل ينجم عن ذلك أن تكون أمريكا أحق بمزيد من الأمن من الدول الأخرى؟ أم أن أمريكا القلقة والمهووسة بأمنها الخاص يمكن أن تجد نفسها منعزلة في عالم عدائي.

إن هذه المقاربة للفكر الإستراتيجي الأمريكي تحاول أن تقدم أهم الأطروحات التي أنتجتها حول طبيعة التغيرات الشاملة التي عرفها عالم ما بعد الحرب الباردة، وكيف إنعكست أو طبقت تلك الأطروحات الفكرية، على

إعتبار العلاقة العضوية بين النظرية الإجتماعية والممارسة الإجتماعية، فمثلما أن المعرفة العلمية التكنولوجية أصبحت جزءا أساسيا من عملية الإنتاج المختلفة فإن المعرفة الإجتماعية أصبحت تكنولوجيا إجتماعية وبالتالي جزءا أساسيا من عملية صنع القرار وتنفيذه، وفي حالتنا فإن أهم تلك النظريات أو الأطروحات الفكرية- الإستراتيجية تحولت إلى سيناريوهات جرى ويجري تطبيقها بدرجة أو بأخرى على المستوى العالمي، وبطبيعة الحال على العالم العربي.

- **أهم الإتجاهات الفكرية الإستراتيجية:**

شكلت مجموع تلك الأطروحات إتجاهين أساسيين للفكر الإستراتيجي الأمريكي في بداية القرن الواحد والعشرون.

1- **الإتجاه الراديكالي:** ويمثله كل من:

أ. **فرانسيس فوكاياما:** بأطروحته القائلة "نهاية التاريخ" وإنتصار النظام الليبرالي الديمقراطي الذي تعتبر أمريكا المعاصرة نموذجه الأمثل على بقية الأنظمة الإجتماعية الأخرى، وبالتالي فهو النظام الإجتماعي، الإقتصادي والسياسي الوحيد المتبقي للبشرية جمعاء[2].

ب. **صامويل هنتجتون** بأطروحة "صدام الحضارات"[3]، والذي يعتبر أن المصدر الأساسي للصراع والصدام في هذا العالم الجديد سيقع بين دول وجماعات صاحبة حضارات مختلفة، وسيهمن صدام الحضارات على السياسة الدولية.

ج. **وليام كريتسول** : بأطروحة "الهيمنة الخيرة" الأمريكية على العالم كله، ومن ثم إستراتيجية التدخل الإستباقي للمحافظين الجدد.

2- **الإتجاه الواقعي:**

أ. **زبيغنيوبريجنسكي:** بأطروحة "قيادة أمريكا للعالم" بدل الهيمنة عليه، مما يعني أن على أمريكا تحريك رقعة الشطرنج الكبرى[4] بما يخدم إستراتيجية القيادة التي عليها أن تتولاها.

ب. **هنري كيسنجر:** بأطروحة "توازن القوة"، بإعتبار أن الجغرافيا السياسية والقوة الإقتصادية ستلعب دورا كبيرا في عالم ما بعد الحرب الباردة، مما سيؤدي إلى عودة تعدد القطبية للنظام العالمي أو الكوكبي.

هذه بعض الأطروحات والنظريات الجيوسياسية التي حاولت أن تقدم توجيهات عملية للإستراتيجية الأمريكية في الألفية الثالثة، وقبل أن نتطرق بالتحليل والنقد إلى بعض تلك الأطروحات علينا أن نتعرف بعمق على الأصول الفكرية التي توجه الإستراتيجيات الأمريكية في التعامل مع العالم الخارجي، وإلى معنى الإستراتيجية بالمفهوم المعاصر وكيف يتم إنتاجها وما هي مختلف العلوم التي تتكامل في مراكز البحوث الإستراتيجية والتي عوضت ما كان يعرف بمراكز البحوث الإجتماعيةالجيوسياسيىة ولماذا؟

أصول الفكر الإستراتيجي الأمريكي:

يطرح "ولترأ.مكدوجال" في عمله الرائع "أرض الميعاد والدولة الصليبية: امريكا في مواجهة العالم منذ 1776"، ما يراه يشكل الأسس الموجهة للفكر الجيو- سياسي والإستراتيجي الأمريكي، وتعتمد تلك الأسس على العقلانية التنويرية بمفاهيمها العالمية على القانون الطبيعي ومبدأ حقوق الإنسان من جهة، والأنثروبولوجيا المسيحية التي أكدت طبيعة الإنسان الناقصة وغير المتغيرة[5] من جهة ثانية.

ويمكن القول بأن التيار الأول دفع بالأمريكيين إلى الطموح السامي، وإلى إنتاج مكثف "لإيديولوجية النجاح" مما أغراهم بتخيل أنفسهم نخبة غنوصية يتملكها منهج عالمي لإدارة الشؤون الإنسانية".

أما التيار الثاني الديني، وبالأخص المسيحي البروتستانتي فقد صبغ الأمريكيين بالتواضع والحذر، ولكن أغراهم في نفس الوقت بتخيل أنفسهم نخبة روحية استحوذ عليها احتكارها بشكل ما للحقيقة ودعوة العناية الإلهية لها لتصحيح الأخطاء.

ومع ذلك فإن الآلية التي أدمجت العقل التنويري مع الإيمان المسيحي لم تكن أبدا تامة الكفاءة، مما أدى إلى عدم إتساق السياسة الخارجية الأمريكية ليس طارئا، بل هو تعبير عن جانبين في الشخصية الأمريكية.

وإذا كان الإتجاهان السابقان قد وضعا الأسس الفكرية والعلمية للإستراتيجيات الأمريكية المتعددة على إمتداد فترة طويلة، بداءا من إستراتيجيةالإنعزال[6] والإنفتاح، إلى إستراتيجيةالإحتواء والتدخل الإنتقائي في فترة الحرب الباردة والتدخل الإستباقي لعهد المحافظين الجدد وما بعد 11 سبتمبر 2001، فإن هناك خلفية أخرى نعتبرها أساسية في توجيه الإستراتيجية الأمريكية إتجاه العالم العربي والإسلامي، ألا وهي الخلفية التي يمكن أن تسميها "الأرثوذوكسية-الإستشراقية"، والتي يمثلها بشكل واضح "لويس بيرنار" والذي يعتبر أن طبيعة وتاريخ الإسلام والعلاقة بين الإسلام والسلطة الزمنية لا يجعل من الديمقراطية الليبرالية والإسلام رفيقين طبيعيين، ويوضح أن تاريخ الإسلام عبر العصور اتسم بغياب أي إعتراف قانوني بالشخصية الإعتبارية التي تمثل جوهر المؤسسات التمثيلية المتجسدة في القانون، وعليه فإن الدول الإسلامية دول "ديمقراطية" من حيث المبدأ، لكنها ليست دولا بالمفهوم الغربي، وهكذا فإن المسلمين الأتقياء يعتقدون في شرعية السلطة التي تستمد مرجعيتها من الله وحده، ولأن الحاكم يستمد سلطته من الله ومن الشريعة لا من الشعب فإن تحدي السلطة يرقى إلى حد تحدي الله وحسب "لويس بيرنار" فإن تلك الخلفية الأوتوقراطية كانت هي القاعدة وعليه فإن أفكار مثل التعددية والنقد الذاتي والإختلاف كلها تشكل ملامح جوهرية للديمقراطية االليبرالية التي تواجه معركة شاقة مع العالم الإسلامي[7]، مما يتطلب التدخل لنشر النظام الليبرالي الديمقراطي في العالم الإسلامي نفسه باعتبار أنه النظام الأخير الصالح لجميع المجتمعات بغض النظر عن تراث تلك المجتمعات التاريخي، الثقافي والإجتماعي، وهذا ما انعكس في إستراتيجية الشرق الأوسط الجديد، وهو ما سنعود إليه لاحقا.

الدلالات المعاصرة للفكر ومراكز البحث الإستراتيجي:

أولا: الإستراتيجية، الكلمة والمفهوم

إنطلق الفكر الإستراتيجي الحديث في الثلاثينات من القرن التاسع عشر مع عمل الجنرال "كارل فون كلاوزفيتز" المعنون بـ "عن الحرب"، حيث وضع الخطوط العريضة لما يمكن أن نسميه الفكر او المعرفة الإستراتيجية، إذ اعتبر بأن

الإستراتيجية تقتضى الجمع بين (العوامل المادية والمعنوية بمختلف أشكالها، إذ من الخطأ حسب رأيه أن نحاول تطوير فهمنا للإستراتيجية بتحليل تلك العوامل كل على حدى طالما أنها تتداخل عادة في كل عمل، لطرق متعددة وبالغة التعقيد)[8].

ومن الضروري أن نؤكد على أن هناك فرقا نوعيا بين كلمة الإستراتيجية ومفهوم الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية[9]، فكلمة استراتيجية ذات المدلول المعرفي العام تشير بصورة واضحة إلى التطلع إلى مستقبل ما، ومن هنا يمكن أن تكون الإستراتيجية كممارسة مرتبطة برغبة أفراد أو جماعة ما، في الوصول إلى هدف ما أو غاية ما أو حتى طموح ما وبين مفهوم الإستراتيجية أو الدراسات الإستراتيجية المعاصرة والتي تقوم على التحليل المنهجي لنظام إجتماعي في فترة زمنية وهذه الدراسات الإستراتيجية المستقبلية تأخذ شكلها العلمي والمؤسسي من خلال الإعتماد على تقنيات منهجية مثل تقنية دلفي وبحوث العمليات، ومصفوفة التأثير المتبادل، وتقنية التفتيت...، كما ترتكز على علوم إجتماعية وإنسانية ومعلوماتية مثل: علم الإجتماع، التاريخ، علم الإقتصاد، الديمغرافيا والمعلوماتية التكنولوجية، هندسة المعلومات والتحليل عن طريق الكمبيوتر... وتسعى أو تهدف إلى تحقيق جملة من المعطيات والوقائع والأهداف، من خلال تطوير وتعديل الحاضر، لإيجاد البدائل الممكنة للتكيف مع المستقبل، فمشكلات الحاضر لا تحل فقط بالنظر إلى الماضي وإنما أيضا بالنظر إلى المستقبل*.

ثانيا: الإستثمار الأمريكي في الدراسات الإستراتيجية

يمكن القول ومن دون مبالغة بأن الولايات المتحدة ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت رائدة في الإنتاج المعرفي العلمي والتكنولوجي، نتيجة أسباب عديدة أهمها هو أنّ النسق الرأسمالي الصناعي الذي أصبحت الولايات المتحدة قاطرته المتقدمة حول أداتية الإنتاج العلمي كأداتية أولى ضرورية لإعادة إنتاجه وتوسعه وقدرته على المنافسة، والأداتية العلمية التي يستخدمها هي أداتية شاملة أي تشمل العلوم التجريبية والدقيقة وكذلك العلوم الإجتماعية والإنسانية، وليس صدفة أننا نجد العلوم الجديدة في مجملها مصدرها الولايات المتحدة مثل: علوم

الإتصال والمعلوماتية والمركيتينغ...، لذلك ليس من المستغرب أن تكون الدراسات الإستراتيجية بمعناها العصري مصدرها الولايات المتحدة من حيث التأسيس ومن حيث المنهج والتقنيات ومن حيث التنظير وبالطبع الإستخدام، ومن ثم وجدنا أنفسنا أمام أطروحات نظريةإستراتيجية رموزها الأساسية من الولايات المتحدة، مما جعل مهمة الباحثين والمفكرين والعلماء الإستراتيجين الآخرين الأساسية والأولى الحوار والرد على الإستراتيجية الأمريكية بمختلف توجهاتها، وبالتالي لم يسمح للأطروحات الإستراتيجية خارج الولايات المتحدة أن تنال الإهتمام الكافي بها، وهذا يعود لسلطة القوة بمختلف أبعادها، وفي مقدمتها سلطة المعرفة العلمية.

ثالثا: الفرق بين التصور الإستراتيجي والأطروحة الإستراتيجية

في الدراسات الإستراتيجية المعاصرة نجد عدة مستويات من بينها على الأقل:

أ- **التصور الإستراتيجي:** وهو تصور يشير في محتواه وبرامجه إلى أهداف محددة يعمل المشروع الإستراتيجي على تحقيقها والوصول إليها بقدر الإمكان، ويرسم من أجل ذلك ثلاثة مراحل كل مرحلة مطلوب منها أن تنجز أعمال وأهداف واضحة، وهي:

1-المرحلة القصيرة المدى: مدتها عموما خمس سنوات

2-المرحلة المتوسطة المدى: ومدتها 20سنة.

3-المرحلة البعيدة المدى: والتي تمتد إلى أكثر من 20 سنة وقد تصل إلى 50 سنة.

وربما تشكل دراسات بريجينسكي حول: "جغرافية إستراتيجية من أجل رقعة الشطرنج"، النموذج الأمثل لمثل تلك الدراسات.

ب- **الأطروحة الإستراتيجية:** وهي تلك الدراسات النظرية ذات الطابع الإستراتيجي والتي لا تحدد مراحل متعاقبة من أجل الوصول إلى الفكرة الأساسية التي تتبناها الأطروحة الأمثلة الواضحة لذلك هي: "نهاية التاريخ" لفوكاياما، و"صراع الحضارات" لهنتغتون و"تحول السلطة" لألفن توفلر[10].

وكل من التصور الإستراتيجي والأطروحة الإستراتيجية يعتمد على قاعدة علمية متنوعة في صياغة الإستراتيجية المطروحة.

رابعا: إرتباط الدراسات الإستراتيجيةبمراكز البحث الإستراتيجي:

ربما من أكبر الأدلة على أن الدراسات الإستراتيجية المعاصرة لها جانب أو مستوى علمي يتمتع بجزء من المصداقية، ذلك أنها تنتج أو تتم في معظمها في مراكز أبحاث إستراتيجية تضم العديد من ذوي الكفاءات الأكاديمية والجامعية المرموقة، كما أن أغلب الباحثين الاستراتيجين يعملون في تلك المراكز، وهنا يجب أن نشير إلى ظاهرة تحول مراكز البحث الإجتماعية والإقتصادية والسياسية إلى مراكز بحث إستراتيجية وهذا منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي، وإرتباط الدراسات الإستراتيجية بمراكز البحث الإستراتيجية في الولايات المتحدة ويظهر ذلك مثلا من خلال المراكز التالية:

أ. **معهد بروكنجز:**

من أهم المؤسسات البحثية في الولايات المتحدة ويأتي مركز "سابان" كقسم من الأقسام الذي تتضمن دراساته دائرة واسعة من القضايا الهامة التي تغطي الشؤون الداخلية الأمريكية وكذلك القضايا العالمية الرئيسية ويضم عددا من الباحثين والخبراء.

ب. **مركز كارنيجي:**

ويقوم المركز بالعديد من الأبحاث في الشؤون الدولية وتتخصص المؤسسة في المواضيع المتعلقة بدعم السلام الدولي، وخصص في السنوات الأخيرة فرعا لدراسات الشرق الوسط، تهتم بتناول أهم الأحداث والآراء عن عملية التطور السياسي بالعالم العربي.

ج. **مركز الدراسات الإستراتيجية CSIS:**

ويعد من أهم المراكز المتخصصة في الشؤون العالمية المختلفة ويتخصص كل برنامج من برامج المركز في منطقة من مناطق العالم برنامج إفريقيا،

برنامج أوروبا الشرقية، برنامج الشرق الأوسط، وبرنامج جنوب آسيا، ويعمل به العديد من الخبراء والباحثين الإستراتيجيين من بينهم "بريجينسكي".

د. معهد أمريكا إنثربراتز:

يعتبر من مراكز القوة لفكر المحافظين الجدد بالعاصمة الأمريكية ولعب دورا بارزا في ترسيخ الموقف الأمريكي من إستخدام القوة العسكرية ضد العراق عام 2003.

هذه المراكز تشكل نموذجا للإرتباط الوثيق بين الدراسات الإستراتيجية ومراكز البحث الإستراتيجي المرتبطة بدورها بالمؤسسات المالية والعسكرية والإقتصادية والتي من دون شك سيكون لها إنعكاس على توجهات وإهتمامات تلك الأبحاث والدراسات وعند هذا المستوى يظهر ويتجسد المستوى الإيديولوجي للدراسات الإستراتيجية التي تعبر في نهاية المطاف ومن خلال مقولات نظرية عن مصالح إستراتيجية.

خامسا: الدراسات الإستراتيجية والتغير الإجتماعي:

من الأهداف الأساسية للدراسات الإستراتيجية رسم التغيرات الإجتماعية المحددة مسبقا إنطلاقا من التصور المستقبلي، ولذلك يمكن القول بأن الدراسات الإستراتيجية هي دراسة للتغير الإجتماعي قبل حدوثه لا بعد حدوثه كمافعلت بعض النظريات السوسيولوجية، إذ لم تعد الحتمية الإجتماعية مسألة مسلما بها، وباعتبار المستقبل يصنع من خلال وبواسطة الفعل الإستراتيجي ولا يفرض بواسطة التطور التاريخي الجبري أو الحتمي كما تصورت ونظرت لذلك بعض النظريات الإجتماعية، ولأن التغيرات الإجتماعية بمجتمعنا المعاصر ذات طابع سريع وشمولي فإن الفعل الإستراتيجي كما حددناه سابقا أي المبني على الدراسات والتحليل أصبح فعلا ضروريا حتى بالنسبة للقوي أو الجماعات أو حتى المجتمعات التي من مصلحتها استمرار العلاقات القائمة لأن التخلي عن الفعل الإستراتيجي كفلعل ضروري معناه بداية فقدان تلك المصالح ومن هنا نجد أن الفعل الاستراتيجي هو الفعل الأول لدى مجموعة المحافظين الجدد في الولايات

المتحدة، وهو الفعل القائم على نظرية التدخل الإستباقي بمعنى الإنتقال من التدخل الإنتقائي الذي ميز الإستراتيجية الأمريكية في الثمانينات والتسعينات إلى التدخل الاستباقي الذي أصبح الإسترتيجية الجديدة بعد 11 سبتمبر 2001، والذي أنتج واقعا مجتمعيا لم يكن معروفا وفي بعض الأحيان لم يكن حتى متصورا، ومن هنا فإن الفعل الإستراتيجي أصبح يقوم بدور إجتماعي أشبه بما تقوم به البيولوجيا- الهندسية، فالتحكم والتعديل في الشفرة الوراثية للإنسان أصبح ممكنا وربما بُدئَ فعلا في إستخدامها في إنتاج إنسان جديد معدل بيولوجيا حسب رغبة جهة ما، رغم ما يثيره ذلك من ردود أفعال أخلاقية في معظمها، ومن ثم فإن الظواهر المجتمعية لم تعد تولد في سياق السيرورة الإجتماعية الطبيعية وإنما في إطار السيرورة- الإجتماعية- الإستراتيجية المعدلة، وعليه فإن الفعل الإجتماعي ذو الطابع البيو- إستراتيجي هو فعل تغييري بقصد السيطرة ينطلق من القوة الإجتماعية للمعرفة الإستراتيجية[11].

كما نلاحظ من الدراسات الإستراتيجية المذكورة أعلاه، أنها تصب في نهاية الأمر في خدمة المصالح الأمريكية فرغم التناقض الظاهر بين صدام الحضارات ونهاية التاريخ من جهة وبين صدام الحضارات وسلطة المعرفة من جهة أخرى ونقد إستراتيجية القيادة لصدام الحضارات ونهاية التاريخ في نفس الوقت، فإن ما يجمع بين كل هذه الدراسات هو البحث عن ما يجعل بقاء أمريكا في المقدمة سواء تم ذلك بصدام الحضارات بفرض النظام الليبرالي الديمقراطي أو بالقيادة الأمريكية للنظام الكوكبي.

إستراتيجية التدخل الإستباقي وإنعكاساتها على العالم العربي:

بغض النظر عن الإختلافات الفكرية والنظرية بين الأطروحات الإستراتيجية الأمريكية في بداية القرن الواحد والعشرين، وخاصة بين "فوكوياما" و"هنتينجون" فإن التوجيهات النظرية لكلا الأطروحتين إستخدمت كقاعدة نظرية للإتجاه الراديكالي من الإستراتيجية الأمريكية.

المتمثل في المحافظين الجدد، في علاقتها بالعالم العربي، ولا بد من الإشارة إلى أن مدرسة المحافظين الجدد تعود أصولها التاريخية والفكرية إلى أفكار

الفيلسوف اليهودي الألماني ليون ستراوس[12] (1899- 1973)، الذي يعتبر الملهم الفلسفي لهذا التيار، وكان قد هاجر في الثلاثينات من القرن العشرين إلى الولايات المتحدة وطبعا هناك أفكار عديدة طرحها "ليون ستراوس" في أعماله، إلا أن أهم ما التقطه المحافظون الجدد منها هو إستبداد النخبة والخطاب المزدوج لإقتناعه بقسوة الحقيقة وأن حاملي الحقيقة مضطهدون من قبل المجتمع وتمييز مفهوم الأخلاق والعدالة عن السياسة، خاصة سياسة القوة التي هي منبع الإخلاق وهذا ما يفسر تنظيره حول أهمية إتخاذ القوة في نقل الديمقراطية إلى العالم (وهذا أحد الشعارات الأساسية للمحافظين الجدد بالنسبة للعالم العربي).

وقد تزايد إهتمام المحافظين الجدد بالشرق الأوسط بسبب علاقتهم الوطيدة باللوبي الصهيوني وباليمين المسيحي ومع وصول مجموعة كبيرة منهم إلى مواقع المسؤولية في إدارة الرئيس (جورج بوش الإبن)، بدأ التطبيق الفعلي لإستراتيجية التدخل الإستباقي ففي سنة 2000 أصدرت مجموعة "مشروع القرن الأمريكي الجديد"، والمتكونة من مجموعة من المحافظين الجدد من بينهم (إبرامز وريتشارد أرميتاج، وجون بولتون وفوكوياما وخليل زاد ورامسفلد وولوفيتز وروبرت زوليك) دراسة مطولة بعنوان "إعادة بناء الدفاعات الأمريكية، الإستراتيجية والقوة والموارد من أجل قرن جديد" وعليه فقد أعلنت الإدارة الأمريكية عن أهدافها ونظرتهالموقع الولايات المتحدة في عالم اليوم ونظرتها للآخرين وتقويمها لعلاقاتها مع الحلفاء أو الخصوم، وتتلخص تلك الأهداف في ضرورة ضمان التفوق الأمريكي المنفرد على بقية العالم في القرن الحادي والعشرين، وينص على أنه من أجل تحقيق ذلك فلا بد من تبني سياسة هجومية غير إعتذارية وإنفراذية غير مترددة تعتمد على القوة العسكرية بالدرجة الأولى.

وبوقوع أحداث 11 سبتمبر 2001 بدأ التنفيذ الفعلي للإستراتيجية الجديدة بغطاء "الحرب على الإرهاب" التي إنتقلت بسرعة ونتيجة للتصور المنهج عن الإسلام غير القابل للديمقراطية، ولضرورة بقاء إسرائيل القوة الرئيسية في الشرق الأوسط والسيطرة على منابع الطاقة إلى الحرب على الإسلام، وبالتالي

ضرورة تغيير الأنظمة الإجتماعية – السياسية والثقافية خاصة وأنه لم يبق إلا نظام واحد صالح للبشرية هو النظام الليبرالي- الديمقراطي (إذ أن التاريخ قد انتهي)، وبعد إحتلال العراق جاء "مشروع الشرق الأوسط الكبير" سنة 2004، من طرف الإدارة الأمريكية بدون إستشارة أي طرف معني بالمشروع بما يعيد إلى الأذهان عهدا سابقا كانت فيه المشروعات والمخططات تصاغ في عواصم الإستعمار وتنزل على الأرض تنزيلا قسريا، كما حدث مع نهاية الحرب العالمية الأولى في إتفاقية "سايكس- بيكو" 1916 وإتفاقية سان ريمو 1920 وصدور وعد بلفور 1917 وإذا كانت المنطقة العربية قد إعتادت على أن تحمل إسم الشرق الأوسط وهو الإسم المحمول من إرث الإستعمار البريطاني، فإنه يراد لها الآن أن تعتاد على إسم جديد ابتدعته إدارة (جورج والكر بوش)، هو الشرق الأوسط الكبير الذي يكاد يقابل إلى حد ما المساحة الأوسع من العالم الإسلامي[13].

وينطلق مشروع الشرق الأوسط الكبير من مسلمتين على غاية من الأهمية هما: أولا أن هناك تدهورا كبيرا في الأوضاع العربية بمختلف مجالاتها السياسية الإقتصادية والإجتماعية مما يدفع إلى ضرورة البدء بإصلاح* هذه الأوضاع قبل أن تتفاقم أكثر مما هي عليه الآن، وثانيا أن هذه الأوضاع المترهلة تشكل دافعا قويا لنمو الإرهاب والجريمة الدولية والتطرف مما يتطلب ضرورة وضع حد لاستشراء هذه الظواهر المقلقة، وعليه فإنّ الولايات المتحدة الأمريكية ترفض هذه الأوضاع وتصر على ضرورة تغييرها بالاعتماد على:

أ. **إستراتيجية نشر الديمقراطية**: التي تنطوي على أهداف عديدة أولها تنفيس الضغط على الأنظمة، وثانيها منع وصول القوى الإسلامية المعادية لأمريكا إلى السلطة، وثالثها استقطاب الفئات المحايدة لناحية العداء للولايات المتحدة الأمريكية وهذا يؤدي إلى التوازن في السياسات الداخلية والخارجية للدول في الشرق الأوسط الكبير؟!.

ب. **إستراتيجية الفوضى الخلاقة**: التي اتبعتها الإدارة الأمريكية في سعيها للسيطرة الكاملة على الشرق الأوسط باعتبار أنّ الاستقرار يمثل مشكلة وعقبة

أمام تحقيق المصالح الأمريكية والفوضى تدعو إلى الحضور الأمريكي المستمر في المنطقة.

ج . **إستراتيجية الحرب الإستباقية:** كما سبقت الإشارة، وهذه الإستراتيجية تقتضي استخدام القوة بشكل فردي إذا لزم الأمر، وتقع فكرة استباق ظهور التهديدات الكامنة بتسديد ضربة إليها في لب عقل المحافظين الجدد، ففي رؤيتهم لعالم ما بعد الحرب الباردة تطلعوا لاستباق حركة التاريخ التي قد تحمل منافسيهم إلى مواقع النفوذ العالمي، وبمعنى آخر فالولايات المتحدة ليست على استعداد لتقبل 11 سبتمبر جديد، لذا فقد بادرت بالهجوم، وقد أدت هذه الاستراتيجية إلى نتائج كارثية بالنسبة للمنطقة العربية تمثلت في: **أولاً تدمير مجتمع ودولة العراق** وما ترتب على ذلك من ظهور صراعات طائفية وعرقية انعكاساتهاالخطيرة على بقية المنطقة، ماهي إلا في بدايتها. **ثانياً الدعم المطلق لإسرائيل،** حتى أن كثيراً من المحللين يعتبرون أنّ إسرائيل هي التي تأخذ القرار الإستراتيجي للإدارة الأمريكية، فبالنسبة مثلاً لاحتلال العراق لم تجن الولايات المتحدة إلاّ النتائج السلبية (على مستوى الأداء العسكري والتكاليف الاقتصادية وصورة أمريكا)، في حين أنّ إسرائيل يظهر أنّها المستفيد الأول من إزالة القوة الإستراتيجية للعراق، ولاشك أنّ التورط الإستراتيجي للإدارة الأمريكية في مشروع الشرق الأوسط الكبير، وبالطريقة التي طبقت بها أدت بالتيار الواقعي في الفكر الإستراتيجي الأمريكي إلى طرح سيناريوهات معارضة لفكر وتصور المحافظين الجدد المدمر لصورة أمريكا على المستوى العالمي، وقد تجسد التيار الواقعي بشكل أساسي في موقفين، رؤية " **هنري كيسنجر**" القائل بنظرية " **توازن القوى هو أفضل ضمان للسلام**"، أمّا بالنسبة للمنطقة العربية فرغم أنّه أيّد إسقاط النظام العراقي إلاّ أنّه اعتبر أنّ أي عملية سياسية في الشرق الأوسط لن تتم عبر العمل العسكري فقط، فالدبلوماسية ينبغي استخدامها للخروج من منهجية التفرد وأحادية القطب ونظرية توازن القوى **تتدعمبرؤية "زبيغنيوبرجنسكي"** الذي طرح إستراتيجية **القيادة** بدل إستراتيجية السيطرة،

وبذلك كان على طرف النقيض مع رؤية المحافظين الجدد، وقد تجسدت رؤيته لأمريكا ما بعدالحرب الباردة في ضرورة أن تبقى أمريكا على رأس القمة بإتباعها إستراتيجية قيادة العالم من خلال سلسلة من الكتب هي على التوالي:

- " **رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوستراتيجية الملحة**"، الذي أجاب فيه عن السؤال ماذا ينبغي أن تكون إستراتيجية أمريكا العالمية للحفاظ على موقعها الاستثنائي في العالم، وكتاب " **الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم**" والذي جاء بعد غزو العراق وطرح فيه فكرة أنّ على أمريكا أن تقوم باختيار تاريخي بين أن تسعى إلى السيطرة على العالم أو إلى قيادته، وكتاب " **الفرصة الثانية**" الصادر عام **2007** والذي رصد فيه الانحدار الإستراتيجي للإدارة الأمريكية في عهد المحافظين الجدد، وخاصةً بالنسبة للعالم الإسلامي وحذر من إعلان أنّ الحرب على الإرهاب تساوي الحرب على الإسلام، موضحاً أنّ ذلك سيخلق مخاطر على صعيد رد الفعل الإسلامي تتمثل في كراهية هائلة للولايات المتحدة مؤكداً أنّ قلب الأزمة التي خلقتها إيديولوجية المحافظين الجدد والتي تتجلى في حالة العزلة التي جلبتها الولايات المتحدة لنفسها عن طريق تفردها، ويعتبر أنّ منهجية المحافظين الجدد التي تمتلك إسرائيل مثيلاتها في بنيتها السياسية هي شديدة الضرر للولايات المتحدة وخطيرة جداً على إسرائيل، لقد حولت هذه المنهجية الأغلبية الساحقة من شعوب الشرق الأوسط إلى موقع العداء للولايات المتحدة، وإذا استمرت الإدارة الأمريكية في إتباع سياسة المحافظين الجدد فإنّ الولايات المتحدة ستطرد من المنطقة وسيكون ذلك إيذاناً ببداية نهاية إسرائيل كذلك، ويوضح أنّ قيادة أمريكا كانت بكلمة واحدة سيئة، فبعد مرور خمس عشرة سنة على تتويج أمريكا قائداً للعالم، فقد أصبح انعدام الأمن أكثر انتشارا والتقدم في قضايا الرفاه الإنساني ضعيفاً ولم تحظ المخاوف البيئية بأولوية عالية، وكنتيجة لهذه الإخفاقات فقدت القيادة الأمريكية الكثير من شرعيتها وضعفت المصداقية العالمية للرئاسة الأمريكية وتلوث موقفها الأخلاقي ومع ذلك فإنّه يرى أمريكا

ستحظى بفرصة ثانية بسبب أنّه لاتوجد حالياً قوة أخرى قادرة على لعب الدور الذي تمتلك أمريكا القدرة على القيام به، ولكن ذلك أيضاً يلزم سنوات من الجهد المتأني والمهارة الحقيقية لاستعادة مصداقية أمريكا السياسية وشرعيتها حسب " **برجنسكي**" والصراع بين مدرسة المحافظين الجدد والداعين إلى الهيمنة الأمريكية من جهة، وبين المدرسة الواقعية والداعين إلى القيادة الأمريكية من جهة أخرى، سيستمر وستحاول قوى وشخصيات فكرية أمريكية رسم إستراتيجية جديدة لعصر ما بعد حرب العراق، تقع في مكان وسط بين المدرستين وتهدف إلى إعادة ترميم المصداقية الأمريكية.

إنّ العالم العربي الذي يمر بحالة من الضعف والتخلف والانقسام أصبح بلا شك ميداناً لتطبيق الإستراتيجيات الأمريكية بمختلف أشكالها، وفاقداً لإستراتيجية واضحة المعالم للتعامل مع القوى العالمية القديمة والصاعدة ومع هذا فهو يمتلك حسب وجهة نظرنا أربعة عناصر أساسية:

1. **الموقع الإستراتيجي**: بحيث أنّ العالم العربي ورغم التطور الهائل لوسائل الاتصال والمواصلات مازال يحتل مركز الريادة على الصعيد العالمي بموقعه الجيوإستراتيجي المعروف.
2. **التراكم التاريخي**: إذ من المعروف أنّ كل الحضارات تقريباً والديانات التوحيدية والإمبراطوريات الكبرى مرت من خلال منطقة العالم العربي الحالية.
3. **الثروات الطبيعية**: المتعددة والمتنوعة وخاصةً في مجال (النفط والغاز) الضرورية جداً للاقتصاد العالمي حالياً.
4. **الثروات البشرية**: فالعالم العربي يتميز على المستوى الديموغرافي[14] بالطاقات الشبانية التي تمتلك معرفة حديثة وعصرية إلى حد ما وفي مختلف المجالات وقد أظهرن التغيرات الجارية في المدة الأخيرة مدى الديناميكية الهائلة التي تتمتع بها هذه الفئة.

فهذه العناصر الأربعة التي يمتلكها العالم العربي يمكن إذا وظفت في إطار رؤية إستراتيجية قائمة على المعرفة العلمية العصرية، أن تحول العالم العربي

إلى محاور ومتعامل له مكانته الخاصة وبإمكانه في نفس الوقت أن يواجه سيناريوهات الإستراتيجية الأمريكية أو غيرها ، كما أنّ على العالم العربي أن يغير تحالفاته وتعاملاته الإستراتيجية باتجاه الشرق الصاعد (الصين، الهند ...) خصوصاً وأنّ العلاقات التاريخية مع الشرق تختلف اختلافا جوهرياً عن العلاقات مع الغرب من حيث الذاكرة التاريخية الثقيلة بالسلبيات (مع الغرب) وهذا ما كان قد أشار إليه منذ منتصف السبعينات بعض المفكرين[15] العرب.

قائمة المراجع:

1. زبيغنيوبريجنسكي– ترجمة: عمر الأيوبي- الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العام- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- 2004.
2. فرانسيس فوكومايا- ترجمة فؤاد شاهين وآخرون- نهاية التاريخ والإنسان الأخير- مركز الإنهاء العربي- بيروت- لبنان 1993.
3. صامويل هتينجنون- ترجمة : طلعت الشايب- صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي- سطور- القاهرة- 1999.
4. زبيغنيوبريجنسكي- ترجمة: سليمإبراهام- رقعة الشطرنج العظمى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوإستراتيجية الملحة: مونشورات علاء الدين – سوريا- 2001.
5. والتر أ- مكدوجال، ترجمة: رضا هلال، أرض الميعاد والدولة الصليبية أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776، دار الشروق، القاهرة، 285.
6. أندروباسيفيتش– الإمبراطورية الأمريكية- الدار العربية للعلوم، بيروت- لبنان- 2004.
7. جوديت ميلر، تحدي الإسلام المتشدد لصامويل هيتيغتون وآخرون، الإسلام والغرب وآفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر- مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 84.
8. كارل فون كلاوزفيتر، ترجمة سليم شاكر الإمامي- عن الحرب- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، 1997، ص 255.
9. وارد كورنيش، ترجمة: حسين الشريف- الإستشراف: مناهج إستكشاف المستقبل- الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان 2007.
10. ألفن توفلر، ترجمة: فتحي بن شتوان، تحول السلطة بين القوة والثروة والمعرفة، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا، 1992.

11. رميتة أحمد، التغير الإجتماعي ومحاولات تجديد علم الإجتماع: دراسة وثائقية تحليلية لدلالة الفكر الإستراتيجي والنظريات الحداثية الأخرى، رسالة دكتوراه دولة، قسم علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 2007.

12. عماد فوزي شعيبي، السياسة الأمريكية وصياغة العالم الجديد، دار كنعان، دمشق، سوريا، 2003، ص 21.

13. حسام شاكر، الإستعمار الجديد: مقاربات في البنية المفاهميةوالإستراتيجية، مجلة رؤى مركز الدراسات الحضارية، باريس العدد 22/21، 2004، ص 28.

14. أنور عبد المالك، ريح الشرق، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983.

- المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مكتبة الشروق، القاهرة، 1992.

- المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

15. ألكسندر دوغين: أسس الجيوبولتيكا ترجمة: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004.

EMMANUAL TOD : après l'empire : Essai sur la décomposition du système américain Ed : Gallimard ; Paris ; 2002.